التطور التاريخي لمدينة تدرومة حتى سقوط الزيانية

دراسة للدكتور/ عبد العزيز لعرج

التطور التاريخي لمدينة ندرومة حتى سقوط الزيانية

د. عبد العزيز لعرج

أعدت ضمن:
فرقة بحث: المدينة المغربية الإسلامية
جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية
قسم الآثار

المصطلح: التسمية والدلالة:

إن معرفتنا بمدينة ندرومة قبل القرن 5 هـ / 11 م من الناحية التاريخية ما زال يحيطه الغموض بصفة عامة، وفي مجال الدراسة الأثرية والعمرانية بصفة خاصة، فنحن نجهل تماما مصدر اسمها و اشتقاقاته على سبيل المثال، كما نجهل ظروف تأسيس المدينة ونشأتها وتطورها العمراني.

فإن ما يورده حسن الوزان حول اسمها من أنها من تأسيس الرومان وأنهم اختاروا لها موقعا مماثلا وتصميما مشابها لمدينة روما، وأن اسمها مشتق من كلمة (ند) في لغة الأفارقة ويقصد بها اللغة العربية، التي لها نفس مدلول كلمة سيميليس (Similis) اللاتينية التي تعني مثيل (1) وهي معلومات خاطئة وغير صحيحة، نقلها عنه مارمول من غير تمحيص وزاد عليها معلومات اشد خطأ إمعانا في تأييد سابقه وإرضاء لتعصبه (2).

والمعروف أن الدراسة الأثرية للمنطقة والمدينة لم تصل إلى أي نتيجة يحتمل معها أن تكون المدينة رومانية، فقد حاول الكثير من الملاحظين والدارسين الفرنسيين أن يؤكدوا وجهة نظر حسن الوزان، فأجروا حفريات في

أماكن مختلفة من المنطقة والمدينة نفسها دون جـــدوى (3)، فغيـــاب أي أثـــر للرومان بالمنطقة والمدينة يجعلنا نؤكد أنها مدينة أحدث من العـــهد الرومـــاني في شمال إفريقيا.

ويحتمل أن اسم المدينة حل محل اسم قديم لها نتيجة أحداث وتطـــورات وقعت فيها ربما على يد قبيلة كومية (4) التي كانت تشـــرف علـــى المدينـــة والقبيلة بأكملها.

ويحاول باسي أن يجد للتسمية والمدينة صلة بما أورده اليعقوبـــي فـــي كتابه البلدان عن مدينة بربرية اسماها (فلوسن) كانت تسكنها مجموعة قبـــائل بربرية و يرى أن هاته التسمية مشتقة من اسم لقبيلة (5)، غير أن باسي نفســـه اعتمد على التصور وربط العلاقة بين الاسم وأسماء ومشتقات أخـــرى غـــير صريحة في مجملها، ذلك أن (فلوسن) هذه مجهولة الموقع والحدود.

غير أن الاسم الحقيقي لمدينة ندرومة يستدل عليه مما يورده ابن خلـدون في حديثه عن قبيلة كومية، إذ يقول أنه كان ".. لهم ثلاثة بطون منها تفرعـــت شعوبهم وقبائلهم، وهي: (ندرومة) وصغارة وبنـــي يلـــول ....ويضيـــف: أن مواطن كومية كانت بالمغرب الأوسط في المناطق الساحلية بنواحي أرشـــكول وتلمسان(6).

ومن هنا يتضح أن اسم قبيلة ندرومة أطلـــق علـــى المدينـــة والمنطقـــة لانتجاعها فيها أو في نواحيها، ولا شك أن هذه القبيلة كانت على درجة مـــن القوة والكثرة فرضت بهما نفسها على بقية القبائل الأخـــرى حتـــى أصبحـــت المدينة والمنطقة تعرف باسمها. غير أننا لا نعرف بالضبط متى أسست هـــذه القبيلة مدينتها ومتى أصبحت تعرف بها.

الموقع:

تقع ندرومة في منطقة جبلية على بعد 60 كلم إلى الشمال الغربي مـــن تلمسان على الطريق العابر منها إلى فاس التي تبعد عنها بحوالـــي 300 كلـــم وذلك مرورا بمرسى نمور (الغزوات). وهو أحد موانئ المدينـــة و مراســـيها التجارية ويبعد عنها بـــ 20 كلم فقط، وبينها أي مدينة ندرومة وبيـــن مرســـى هنين مسافة قصيرة تقدر بحوالي 13 ميلا، ويعد الموسى على درجة كبيرة مـــن

الأهمية بالنسبة لتلمسان و ندرومة معا. وكانت جبال تاجرا الممتدة بين مرسى هنين ومدينة ندرومة مستقرا لقبيلة مشهورة هي قبيلة كومية (7)، ولا شك أن مدينة ندرومة كانت تستفيد تجاريا من هذا المرسى الذي كان مقصودا من التجار.

وتحتل المدينة بموقعها ذاك مكانا متميزا على الطريق التجاري الكبير الرابط بين تلمسان ومدينة وجدة والممتد منها إلى رباط تازا فمدينة فاس.كما تعد ندرومة إحدى المدن الهامة والرئيسية لمملكة تلمسان الزيانية (633 - 954 هـ / 1234 - 1544م) في المغرب الأوسط (8).

وتتكون جبال منطقة ندرومة من ثلاث سلاسل موازية للبحر ذات أشكال متشورية أو مخروطية وتقترب من بعضها عند الساحل (9)، وتشكل امتدادا طبيعيا لجبال منطقة ترارا بكاملها كما تعد ندرومة قلب هذه المنطقة حيث تحدها شرقا وجنوبا وادي التافنة وغربا وادي كيس الذي يفصلها عن المغرب، وكانت كل قبيلة في المنطقة تحتل مكانا محددا في جبالها على شكل قرى انتشرت بطريقة يمكن الدفاع عنها ، طبيعيا وبشريا بكل سهولة وسير، وذلك من خلال منحدرات وعرة يصعب الولوج إليها أو الوصول إلى مضاربها حيث تبدو كل قرية أو مركز كما لو كان حصنا أو قلعة(10).

السكان:

كانت ندرومة ونواحيها منزلا ومرتعا لمجموعة من قبائل البربر من زناتة تجوب نواحيها منذ فترة سابقة عن الإسلام، وكانت قبيلة كومية أشهر هذه القبائل، ويشيرا ابن خلدون، إلى أن هذه القبيلة كانت تعرف قديما باسم مصطفورة، وهم إخوة لماية ومطغرة ولكنهم ينسبون إلى جدهم فاتن، ودخلت كومية من اخوة كومية في الصراع الخارجي بالمغرب مما أدى بها إلى التوزع في أماكن مختلفة من أرض إفريقية والمغربيين الأوسط والأقصى، وأصابتها جراء ذلك كثير من المحن والمهالك (11). أما كومية فهي كبيرة كثيرة الفخذات فروع وأفخاذ وبطون، وبطونها الكبرى: ندرومة وصغارة وتاجرول، وعنهم تتوزع قبائل أخرى كثيرة، فمن ندرومة تتوزع نغوطة وحرسة وفردة وهفانة وفراتة، ومن هذه الفروع تتوزع أفخاذ أخرى وبطون (12) وكانت كومية قد اعتنقت الإسلام منذ الفترة المبكرة من فجر الدعوة الإسلامية بالمغرب (13).

لم يكن من السهل التعرف على الحدود الحقيقية التي كانت تحتلـها كـل قبيلة وكل فرع من قبيلة في المنطقة الممتدة من وجدة إلى تلمسان وخاصة فـي المناطق الجبلية بهما، ويشير ابن خلدون إلى أن كومية كانت تنتجـع سـواحل البحر أو سيفه على حد تعبيره من المغرب الأوسط بجبل تاجرا، وأنه كان لـهم كثرة موفورة وشوكة مرهوبة وخاصة بعد أن اعتلى ابنهم عبد المؤمـن بـن علي حكم الدولة الموحدية (14).

لقد قام الضباط الفرنسيون عند احتكاكهم بسكان المنطقة، إضافـة إلـى مسؤولي الإدارة الاستعمارية بدراسة السكان دراسة أنثروبولوجية مـن حيـث أصولهم وأحوالهم النفسية وخصائصهم الفسيولوجية من قامـة ووجـه وأنـف وجبهة وشعر... وغير ذلك من وسائل التمييز العنصري إضافة إلى اعتمـادهم على أسماء الأشخاص والأماكن والقبائل، وهذا المنهج الدراسي المركب خضع لخلفيات تتوخى أهداف تأسيسية استعمارية أدى إلى تنميـط سـكان ندرومـة وترارا، كما هو الحال في بقية مناطق البلاد، تنميطا هجينا في أصلهم وديانتـهم وتقاليدهم وصفاتهم، فهم وفقا لذلك يهود ومسيحيون وبربر وعرب، ووصموهم بصفات وأحوال نفسية أقل ما يقال عنها في أكثرها أنها غير موضوعيـة(15). وهو منهج اتبعه كل الدارسين الفرنسيين ضباطا وسياسيين وباحثين وذلك فـي كل ما يتعلق بالجزائر مند احتلالهم لها، والهدف الأساسي لهذا المنـهج هـو تكريس الاختلاف وتعميق الهوة بين أبناء الأمة الواحدة ليخلـو لـهم طريـق السيطرة على البلاد والعباد وإبقاء الأمة رهينة الفكر الاستدماري.

لقد كانت منطقة ترارا مرتبطة سياسيا بندرومـة وظلـت كذلـك حتـى انفصلت عنها في ثورة 1361 هـ / 1845 م ضد الغـزو الفرنسـي للمنطقـة، وكانت ترارا تتضمن مجموعة عناصر سكانية متجمعة في قبائل أهمها كوميـة التي يشكلها اتحاد ترارا الذي نشأ بسبب الخلافات المحلية في جو الصراع بين الأتراك والسعديين، وكان ذلك الاتحاد يتكون من كومية وبنو منير وبنو مسـهل وبنو عابد الذي ينتسب إليهم عبد المؤمن بن علي وبنو خـالد فـي ضواحـي ندرومة وبنو ورسوس وولهاسة الغرابة(16)

الحياة الاقتصادية:

تنوعت مظاهر الحياة الاقتصادية بندرومة ونواحيها، ولعل أهـم تلـك المظاهر هي الفلاحة والمنتجات الفلاحية وتربية المواشي.

الفلاحة والمنتجات الفلاحية:

وبالرغم من أن منطقة ترارا(17) وندرومة بالذات من المناطق الجبلية الوعرة ولكنها مع ذلك كانت تشرف في أسافلها على جيوب فلاحية في هيئة وديان صغيرة. إضافة إلى سهول واسعة تزرع فيها الحبوب ويتخذ منها مراعي للماشية، وكانت هذه الأراضي الزراعية تسمى عندهم العزب أو العزيب، وكانت أسافل ندرومة ومنحدرات وادي (التلاتة) تحتلها قبيلة بني مثير، أما قبيلة بني مسهل فكانت تختص بوادي تافنة والقرى المتجمعة حول جبال فلوسن، وكانت تتضمن عددا كبيرا من البساتين المتوفرة على المياه (18).

وكانت تلك السهول والبساتين والجيوب الفلاحية على الوديان الصغيرة تكون لسكان ندرومة وضواحيها تربة خصبة وأراضي زراعية يستغلونها في إنتاج الحبوب المختلفة والخضر والفواكه المتنوعة وهو ما يعبر عنه البكري في القرن 5 هـ / 11 م أنه: " ....بغربي المدينة وشماليها بسايط طيبة ومزارع ووديها وادي ماسين كثير الفواكه والثمار " (19).

ولاشك أن هذه البساتين وتلك البسايط والجيوب الفلاحية كانت تدر غلات وفيرة على المدينة والمنطقة معا جعلها تحتل مكانة هامة في نظر الدول المجاورة، كما جعلها تحتل الصدارة كمركز حضاري إقليمي يتنافس عليه الحكام وتحاول حواضر المغرب أن تلحقه بها وخاصة بعد سقوط الموحدين وهو ما يؤكده الإدريسي في القرن 6 هـ / 12 م في حديثه عن مدينة ندرومة من أن: "....موضعها في سند ولها مزارع كثيرة ولها واد يجري في شرقيها عليه بساتين وجنات ... وسقي كثير..." (20).

وفضلا عما ذكره البكري والإدريسي عن زراعة ندرومة ومنتجاتها الفلاحية، فإن حسن الوزان يشير إلى أن باديتها منتجة إلى أقصى حد، فحول المدينة بساتين كثيرة وأراضي مغروسة بأشجار مثمرة أهمها شجر الخروب الذي يستهلك في المدينة ويصدر إلى المدن والمناطق المجاورة لكثرته وحلاوته(21).

وكانت المنطقة تتوفر على المياه الجارية يستخدمها السكان في سقي أراضيهم وبساتينهم، وكانت السهول تنتج كمية كبيرة من الحبوب كالقمح والشعير(22).

كما كانت المنطقة تنتج كميات معتبرة من العسل الذي كان يعد مادة أساسية في التغذية لا شك أنهم كانوا يصدرون منه للحواضر والمدن المجاورة، كما كانوا يصدرون منتجات صناعية أخرى مثل الملابس الصوفية والمنتجات النسيجية وخاصة القطنية منها لاشتهار المنطقة بزراعته والمدينة بتصنيعه وإنتاجه (23)، ويتجرون فيه مع مدن المغرب الأوسط كتلمسان والجزائر.

تربية الماشية:

وكانت منطقة ندرومة منطقة تتوفر على عدد كبير من قطعان الماشية (24) من أغنام وماعز وأبقار، وساعدهم على ذلك توفر المرعى السهلي والجبلي الذي يعد مصدر أساسيا لتربية الحيوانات.

ومن جهة أخرى فإن وقوع المدينة في منطقة جبلية صخرية وقريبة من البحر، جعلها تتمتع بمناخ طيب معتدل، ممطر شتاء ومعتدل حار صيفا، وأكسبها غطاء نباتيا معتبرا عبارة عن غابات كثيفة تمتد بامتداد منحدرات جبالها ومرتفعاتها حتى تلتقي عند السواحل (25) في الغزوات وهنين، وقد أفادت المدينة من ذلك في التدفئة ومواد البناء من الخشب والحجر.

الأهمية الحضارية لمدينة ندرومة:

وعلى أية حال فإن اسم المدينة الذي يورده البكري في القرن 5 هـ/11م لأول مرة وبصيغة صريحة ومحددة يدل على أنه لا يتحدث عن مدينة حديثة بقدر ما يتحدث عن مدينة ذات أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية والعمرانية، فهو يتحدث عن موقعها وحدودها وما اشتملت عليه من سهول زراعية وبساتين مثمرة، ولكن أهم ما يذكر عنها باعتبارها مدينة، هو إحاطتها بسور (26)، والسور أحد المعايير الحضارية في بناء المدن الإسلامية باعتبارها وسائل تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، وهي من مقاصد الإسلام الكبرى (27).

وتزداد أهمية المدينة من الدلالات التي يذكرها البكري عن المدينة في موضع آخر في قوله: " وساحلها وادي ماسين .... وله مرسى مأمون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به ...."(28).

فوجود حصنين ورباط بمرسى المدينة يدل على أهميتها وحيوية المنطقة، ولا شك أن الرباط بالصيغة التي أوردها البكري من التبرك به، لم يعد موجها للحراسة والدفاع عن المنطقة، وبالتالي لم تعد له الوظيفة العسكرية التي أسس من أجلها، فالرباطات مثلما هو معروف بنيت في الحدود والمناطق الحيوية التي يمكن للعدو أن يتوغل منها إلى المناطق والمدن السكنية، وهي ظاهرة صحبت الفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب، وكان المغرب أحد المناطق التي انتزعها المسلمون من بيزنطة المسيحية، وأمام فشلها براً في استردادها وانحياز السكان للمسلمين وانضوائهم تحت راية الإسلام، عمدت بيزنطة إلى الثأر والانتقام من الإسلام والمسلمين مستخدمة قواعدها البحرية والضاربة في جنوب إيطاليا في الهجوم على السواحل المغربية خصوصا وأن قوة المسلمين البحرية كانت ضعيفة في القرنين التاليين للفتح الإسلامي، فما كان منهم إلا بناء سلسلة من التحصينات والأربطة على طول السواحل للمراقبة والاستشعار (29)، وكان أهم تلك الأربطة رباطي سوسة و المنستير (30)، وبكل تأكيد رباط تاونت أو الغزوات التي يتحدث عنه البكري أيضا.

غير أن هذه الأربطة لم تعد لها أهمية دفاعية لتحول المسلمين إلى قوة بحرية خلال القرن 3 هـ/ 9 م وما بعده، وإنبرائهم إلى سياسة الهجوم وتهديد القواعد البيزنطية نفسها في جنوب إيطاليا والنيل منها في أوقات مختلفة ومتكررة، مما أدى إلى تعطل الوظيفة العسكرية للرباطات، وتحولها إلى قلعات وملاجئ للمتصوفة والصلحاء والزهاد، وهو ما يعبر عنه البكري في العبارات السابقة.

فالرباط يبنى عادة إذن للمراقبة وحماية المنطقة والمدينة من أي هجوم بحري أو بري مباغت، ويبدو أن رباط تاونت أو الغزوات بني كلاهما من أجل ذلك غير أننا لا نعرف متى شيدا ولا من شيدهما، كما نجهل شكل كل منهما وتصميمه المعماري.

ومع أهمية المنطقة والمدينة يسكت البكري تماما عن الإشـــارة إلـــى أي مسجد أو جامع للمدينة، وسكوته لا يعني أنه لم يكن لها مسجد، بل على عكـــس ذلك يدل عليه زيارتهم للرباط وتبركهم به، وأنه إن سرق أحدهم فيـــه أو أتـــى بفاحشة لم تتأخر عقوبته الإلهية وقد تعارف الناس على ذلك مثلما يذكـــر (31) وهو ما يجعلنا نؤكد أنه كان للمدينة مسجد، إذ لا يعقل أن تكون مدينـــة بهـــذه الأهمية، لتخلو منه، فالبكري نفسه يشير في معرض حديثه عن مدينة ترنانـــا القريبة من ندرومة والتي لا تبعد عنها إلا بثمانيـــة أميـــال أنـــها: "... كـــانت مسورة ولها سوق ومسجد جامع وبساتين كثيرة...." (32) فترنانـــا وندرومـــة متشابهتان من حيث إحاطتهما بسور وهو أخذ المعايير الموحية بأهمية المدينـــة وكونها مصرا أو مركزا حضاريا كبيرا لا بد أن يشتمل على مسجد وهو أحـــد العناصر الهامة في أي مصر أو مدينة.

وبعد قرن من الزمن تقريبا أي في القرن 6 هـــ /12 م يورد الإدريســـي نصا عن مدينة ندرومة، يتضح من خلاله أن المدينة تطورت تطورا ملحوظـــا عما كانت عليه في عهد البكري، فهو يذكر أنها: "....مدينة كبيرة عامرة آهلـــة ذات سور وسوق وموضعها في سند وبها مزارع كثيرة وبها وادي يجري فـــي شرقيها وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقي كثير ...." (33)، ويؤكـــد نـــص الإدريسي ما كان قد ذكره البكري عن إحاطة المدينة بسور وما كانت تتميز به من سهول وبساتين ولكنه ينضاف إلى ذلك عنـــاصر جديـــدة أهمـــها الســـوق والجنان والسقي الكثير والعمائر، وذلك كله يدل على مدى التغيير الذي طـــرأ على المدينة وبكل تأكيد سينعكس على نسيجها العمراني غـــير أن الإدريســـي نفسه لا يشير لوجود أي مسجد بالمدينة ولكن التطور الذي أتى علـــى ذكـــره زراعة وعمارة و ديمغرافيا يؤكد وجود مسجد أو مسجد جامع، إذ لا يعقـــل أن تكون مدينة بهذه الصفة تخلو منه ذلك. فقد عد CANAL (34) في الربع الأخـــير من القرن 13 هـــ / 19 م ثماني مساجد وفي نهاية القرن أحصى BASSET (35) أحد عشر مسجدا بمدينة ندرومة في أماكن وفترات مختلفة من المدينة.

التطور التاريخي لمدينة ندرومة حتى نهاية العصر الزياني:

ندرومة حتى العهد المرابطي:

ارتبط مصير مدينة ندرومة والمدن الأخرى بالمنطقة بمصير تلمســـان ذلك أن مدينة تلمسان اتخذت منذ الفترة السابقة عن الإسلام عاصمة ومركـــز للمغرب الأوسط الغربي، ثم عاصمة للمغرب الأوســـط بأكملـــه منـــذ العـــ

الأدنى. وكانت ندرومة في جميع تلك الأحوال تابعة لها، وإحدى مدنها الهامة طيلة القرن 5 هـ / 11م

ولا شك أن ندرومة ساهمت إلى جانب تلمسان في الصراع السياسي والمذهبي (36) الذي عم البلاد بوفاة الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز وذلك بسبب سياسة الظلم والاستبداد التي استمسك بها عمال المغرب في عهد الولاة من قبل الخلافتين الأموية في دمشق والعباسية في بغداد فيما بعد منهما، وهي السياسة التي وضع خطوطها العريضة الحجاج بن يوسف في المشرق وطبقت فيه كما طبقت في المغرب، ولكن البربر كانوا أشد مقاومة لها لتعارضها مع روح التعاليم الإسلامية التي فهموها وآمنوا بها واعتبروا الإسلام دينا لهم على ضوئها (37) خصوصا وأن ندرومة فرع من قبيلة كومية المنتسبة للقبيلة الأم زناتة التي لعبت دورا خطيرا في الأحداث السياسية والصراع المذهبي في المغرب منتحلة المذهب الصفري(38).

وفي حدود 135 هـ /...م تجمعت قوات زناتة بنواحي تلمسان تحت رئاسة أبي قرة اليفرني عازمة الانضمام إلى ثورات العرب والخوارج والبربر القائمة آنذاك ضد والي القيروان عبد الرحمن حبيب بإفريقية والمغرب الأوسط وطرابلس، ولم يكن هذا التجمع خافيا على الوالي فخشي من هذا الحلف ما جعله يبادر إلى مهاجمة تجمع تلمسان وتمكن من تفريقه وإلحاق الهزيمة به(39).

ولا شك أن قبيلة كومية و ندرومة الزناتيتين كانتا ضمن هذا التجمع، وأصابهما ما أصابه. وبعد سقوط الخلافة الأموية تواصلت ثورات البربر ضد الخلافة العباسية، وكانت منطقة تلمسان دائما متزعمة لحركة الثورة، فقد رأت زناتة أن هناك مشروعا موجها ضدها تقوم الخلافة العباسية بإعداده بالمنطقة المغرب (40) وذلك من خلال تعيين الأغلب بن سالم التميمي ومحمد الأشعث الذي بادر إلى تحصين القيروان واتخاذ طبنة قاعدة متقدمة للقيروان في المغرب الأوسط، فعمدت زناتة التي كانت تتزعمها آنذاك قبيلة مغراوة إلى مبايعة أبي قرة اليفرني بالخلافة وذلك سنة 148هـ /765م...(41) واتخذ من تلمسان قاعدة له في المغرب الأوسط، ومن طنجة مركزا له بالمغرب الأقصى. وكان أبو قرة يمتاز بالقوة والشجاعة والدهاء، إذ تمكن من توحيد زناتة المغربيين الأقصى والأوسط تحت زعامته (42)، وسارت جيوش

الطرفين كل منهما للآخر واقتربت من بعضها في منطقـــة الـــزاب، غـــير أن المعركة لم تحدث بينهما لتخو ف كل منهما من صاحبه، فتحاشي كـــل منـــهما مواجهة الآخر لما كان تحت يد كل منهما من قوات، فعاد كـــل منـــهما إلـــى مركزه دون قتال (43)، وظل الحال على ذلك من مساهمة تلمســـان ونواحيـــها كندرومة وتاجرا في الصراع السياسي والمذهبي الخارجي الموجه ضد الـــولاة العباسيين، وذلك حتى قيام الإمارة الإدريسية (44) فـــي المغـــرب الأقصـــى، وتأسيس مدينة فاس عاصمة لها، فتقبلت قبائل المنطقة من مغراوة وبني يفـــرن وكومية وغيرها سلطة الأدارسة، وهي السلطة التي أقامها أحد العلوييـــن هـــو إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وذلك بعـــد أن فر من المشرق مطاردا من العباسيين، فلجأ إلى المغرب متخفيا في زي التجار حتى بلغ مدينة وليلي بالمغرب الأقصى وهناك عرض نفسه على الناس فتقبلـــوه ونصروه مكونا الإمارة الإدريسية سنة 170هـــ /790م ومشـــيدا مدينـــة فـــاس عاصمة له سنة 171هـــ / 791م (45).

وفي سنة 173 هـــ /793م نزل الأدارسة بتلمسان فقبل سلطتهم سلما بنـــو يفرن من زناتة وفتحوا لهم أبواب المدينة، وكانت شهرته قد بلغتهم، فـــانضوى تحت لوائه زعيمهم محمد بن خزر بن صولان المغراوي مع أهـــل تلمســـان ونواحيها وقبلوا إمامته، فتلقى البيعة ودخل تلمسان (46)، وتقديرا منه للمدينـــة وسكانها شيد لهم جامعا صنع له منبرا، وذلك في رجب من ســـنة 173 هـــ / 793م، وفتح للصلاة بعد سنة من ذلك في صفر 174هـــ / 794م وكان على لـــوح المنبر نص تأسيسي مضمونه: " **بسم الله الرحمن الرحيم هذا مـــا أمـــر بـــه إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طـــالب رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة 174 هـــ** / 794م " (47).

وبعد وفاة إدريس الثاني توزعت الإمارة الإدريسية بين أولاده وأحفـــاده وكانت تلمسان ونواحيها من نصيب حمزة على ما يذكر ابـــن أبـــي زرع (48) بينما تجمع مصادر أخرى على أن متوليها كان ابن عمه سليمان بن عبـــد الله أخو إدريس بن عبد الله (49)، وكان سليمان هذا قـــد نـــزل متنكـــرا بتـــاهرت ونواحيها بعد مهلك أخيه إدريس بوليلي من جبل زرهون، حيث حاول اســـتمالة سكان المنطقة ونواحيها فاستنكروه لجهلهم به وبنسبه، وتناهى خبره إلى عمـــل بني الأغلب، فسعوا في طلبه والتخلص منه، ففر منهم، وبفراره صحح نســـبه

...ره بين الناس وعرف قدره والتحق بتلمسان فملكها سلما، وأذعنت له زناتة ...ائر القبائل بها (50).

وبعد وفاته توزعت نواحي تلمسان بين أبناء محمد بن سليمان، ولم يكن ...كم بعضهم فيها يتجاوز حدود المدينة التي يحكمها لدرجة أن كثيرا من المدن ...و المناطق حملت اسمهم أو نسبهم العلوي، وكانت هذه المدن والمناطق ...تتبع معها مدن أخرى تتزعمها قبائل أخرى ويتولاها رؤساء زناتيون من ...ني يفرن أو مغراوة أو مطماطة أو مكانسة (51).

وتسكت النصوص التاريخية عن ذكر منطقة ترارا ومدينة ندرومة، فقد ...كان اهتمام المؤرخين ينصب على العواصم والأمطار وما يدور فيها من ...حداث. وأمام غياب أي إشارة إلى ذلك لم يبق أمامنا إلا الترجيح والاحتمال.

ويبدو أن منطقة ندرومة في ظل هذه الأحوال كانت تعيش وضعا أشبه ...ما يكون الاستقلال تحت زعامة قبلية محلية، وظلت على ذلك حتى ظهرت ...الدعوة الفاطمية في المغرب وأثمرت عن تأسيس الدولة الفاطمية بالقضاء على ...الإمارة الأغلبية في إفريقية والرستمية في تيهرت وذلك في حدود سنة 296 ...هـ/ ...م (52).

وقد رنا الفاطميون إلى المناطق الغربية للمغرب الأوسط وكذلك المغرب ...الأقصى مما يلي تيهرت وكانت تلك المناطق خاضعة للأدارسة من بني ...سليمان بتلمسان ونواحيها وبنو عمر بن إدريس في فاس والمغرب الأقصى، ...فضلا عن مناطق سنية مستقلة تابعة لبعض قبائل زناتة.

وكان أمرا طبيعيا أن يصيب تلمسان من سياسة التوسع الفاطمي ما ...يصيب فاس وهي مطمحهم، فتلمسان في الطريق إليها وقريبة منها والاستيلاء ...عليها يتطلب الاستيلاء على تلمسان لموقعها ومكانتها الحضارية والاقتصادية ...والتجارية، ولذلك كانت معظم الحملات العسكرية التي يوجهها الفاطميون إلى ...المغرب الأقصى تمر بتلمسان وضواحيها.

ولتحقيق ذلك عمد الفاطميون إلى اتخاذ تيهرت قاعدة عسكرية لهم ...تستريح فيها جيوشهم القادمة من إفريقية وتمتري ومنها تعبأ الجيوش وتوجه

الحملات نحو المغرب، وكانت جهود الفاطميين تتعارض مع سياســـة أمويـي الأندلس الذين كانوا يخشون التوسع الفاطمي وامتداده إلى المغرب الأقصى مما قد يهدد مصالحهم فيه كما قد يهدد دولتهم خاصة مع الدعاية الفاطميـــة فيـها ولذلك وقفوا موقفا حادا وقويا وألبوا قبائل المغرب الشرقي ومنطقـــة تلمسـان ونواحيها ضدهم وأمدوهم بالأموال والسلاح من أجل ذلك فعاشت هذه المنـطق في هرج ومرج مثلما يقال وفي صراع دائم ومستمر لدرجـــة أن اتخـــذ ذلـك الصراع مظهرا محليا بين القبائل والنواحي يحرك خيوطه الفاطميون وأمويـو الأندلس، فاشتد التنافس بين الحسن بن أبي العيش من عقب الأدارسة وموســى بن أبي العافية الزناتي صنيع الأمويين(53).

وعندما حل الحماديون محل الزيريين والفاطميين بعد انتقالهم إلى مصـر وضعوا أيديهم على المغرب الأوسط.

ويبدو أن ندرومة وضواحيها كان يلحقها ما كان يلحق تلمسان من الغـزو والسيطرة والاستيلاء، فقد عانت المدينة من جو الصراع الحمـــادي الزنـــاتي وخاصة في عهد بلكين بن حماد (54) وعـــهد النـــاصر بـــن علنـــاس وابنـه المنصور، ففي غزوهم لمدينة فاس وقبائل المغربيين الأوسط والأقصى كـــانوا يستولون وهم في طريقهم على المدن المهمة ولا شك أن مدينة ندرومة كـــانت من بين تلك المدن.

ندرومة في العهد المرابطي (55):

الدولة المرابطية، دولة قامت على أسس دينية إصلاحية مثلما يدل عليـه اسمها، أقامتها قبيلة صنهاجة باتحادها مع قبائل أخرى كجدالة ولمتونة ومسوفة ولمطة، وهي قبائل كانت تمتد على مناطق شاسعة في الجنوب وحوض نـــهر السينغال الحالي.

وترجع الجهود في إقامة هذه الدولة إلى فقيه مالكي من منطقة الســوس استقدمه زعيم قبيلة جدالة لتفقيه قومه في أصول الدين، فتطور الأمر إلى إقامة دولة ما لبثت أن أخذت في التوسع شـــمالا علـــى حســـاب القبـــائل المتفرقـة المتصارعة في ربوع المغربيين الأقصى والأوسط فارضة عليه وحدة سياســية ونمطا من الحياة أساسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تمكنت مـن

اخضاع جل القبائل وبناء عاصمة لها، هي مدينة مراكش سنة 456 هـ / 1064م ومنها امتد نفوذها إلى المغرب الأوسط(56).

وفي حدود 472 هـ / 1079م وصل المرابطون إلى تلمسان في غزوة وجه فيها يوسف بن تاشفين قائده المزدلي التلكاتي في جيش كبير استولي فيها على تلمسان وقتل أميرها العباس بن بختى، وفي السنة التالية 473هـ /1080م غزا يوسف بن تاشفين بنفسه للمرة الثانية المغرب الأوسط: " فافتتح مدينة وجدة وبلاد بني يزناسن ثم افتتح مدينة تلمسان وأستلحم من كان بها من سراوة...وأنزل بها محمد بن تينعمر المسوفي في عساكر المرابطين فصارت دارا لملكه ...ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل ونشريس إلى الجزائر وانكفأ راجعا إلى المغرب..."(57).

ولاشك أن دخول تلمسان تحت حكم المرابطين سبقه دخول ندرومة ونواحيها والمناطق الممتدة حولها في حكمهم.

ويبدو أن يوسف بن تاشفين وجد مناصرين له في ندرومة كما وجد المدينة على درجة من الأهمية جعلته يوليها عناية ببناء جامع لها تحت إشراف القاضي على سبتة أبو محمد عبد الله بن سعيد وهو الاسم الذي تذكره كتابة بالخط الكوفي محفورة في لوحة عبارة عن مسند الإمام في منبر الجامع، وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر(58).

والواقع أن المرابطين قاموا ببناء جوامع في كل المدن الهامة بالمغرب الأوسط فقد فعلوا ذلك في الجزائر وفي تلمسان (59) ويبدو أن ندرومة كانت ذات أهمية كبيرة بدورها فحباها المرابطون ببناء ذلك الجامع.

ويرجح الأستاذ بورويبة أن يكون السور الذي ذكره البكري والذي يحيط بمدينة ندرومة من بناء المرابطين (60)، والسور والجامع يدل كل منهما على أهمية المدينة ووضعها موضع الأمصار والمدن الكبيرة، وإن لم تكن عاصمة أو مصرا كبيرا فهي مركز حضاري إقليمي.

مسؤولياتهم ووظائفهم لصالح الشباب المتعلم ويتفرغون هم للاستشارة والتوجيه (65).

وبعد التحاق منطقة ندرومة بعبد المؤمن أخذ الصراع المرابطي – الموحدي في تلمسان وضواحيها مجرى آخر بعد المعركة الفاصلة بين الفريقين، فقد نزل المرابطون بموضع سطفسيف بينما نزل الموحدون بالصخرتين إلى الشمال الغربي لتلمسان، ولم يوفق المرابطون في ضرب الموحدين وتأكد لأميرهم تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين أنه أخطأ النزول بالمدينة لأن نواحيها كانت قد انضمت لأعدائه، فتحول عنها إلى وهران وتبعهم الموحدون في جيوش جرارة من قبائل زناتة كبني يلومي وسائهم بني عبد الواد وبني توجين وغيرهم(66).

وفي وهران أحاطت الجيوش الموحدية بالمرابطين وتمكنوا من إحداث الاضطرابات في صفوفهم واقتحامهم لحصن تاشفين بن على، مما اضطره إلى الفرار ولكنه سقط من على ظهر جواده وقتل وكان ذلك في 27 رمضان 539 هـ / 1144م وبذلك سقطت الدولة المرابطية (67). ويبدو أن ندرومة مثلها مثل المنطقة بكاملها ظلت على ولائها للدولة الموحدية، تخدمها وتنتفع بخدماتها كما ظلت كعمل من أعمال تلمسان، ولا شك أن المنطقة حظيت باهتمام عبد المؤمن وخلفائه، وأن ندرومة تلقت العديد من المباني وأن خطتها اتسعت بفضل الاستقرار الذي عرفته وأن عدد السكان قد ازداد فيها بفضل ازدهارها وهو ما سوغ لعبد المؤمن تجديد جامعها الكبير وفاء لبني جلدته كومية وذلك على غير ما يذهب إليه الدكتور علي علام من أنه بني علي يد عبد المؤمن (68)، وذلك أنه مثلما ذكرنا هو من منشآت المرابطين. ولا يمنع أن يكون الموحدون قد جددوا أسوار المدينة على غرار ما فعلوه في معظم المدن المغربية وخاصة مع الفتن التي آثارها ابن غانية للدولة الموحدية في المغربين الأدنى والأوسط، وقد أثبتت تلك الفتن أهمية إحاطة المدن بالأسوار المنيعة والتحصينات مثلما فعل الموحدون مع أسوار تلمسان من حيث تحديدها وتقويتها (69) ولا شك أنها كانت نموذجا لبقية المدن بما في ذلك ندرومة.

لقد كان لمساعدة بني يلومي ومنهم بني عبد الواد للموحدين وانحيازهم إلى صفهم في صراعهم مع المرابطين ومع بني غانية فيما بعد أثر في إقطاع

عبد المؤمن بن علي لهم سهول المناطق الممتدة بين تلمسان و وهران وإطلاق يدهم فيها وخاصة لمساعدتهم لهم إبان غزو بن غانية للمنطقة ممـــا أدى إلـــى تعيين يغمراسن بن زيان العبد الوادي عاملا على تلمســـان ونواحيـــها ومنـــ ندرومة، وهو منصب لم يكن يتولاه قبل ذلـــك غـــير الأمـــراء مـــن البيـــت الحاكم(70) وقبل تولي يغمراسن وقعت أحداث في تلمسان استغلها بنـــو عبـــ الواد للوصول إلى السلطة وخاصة على يد يوسف بن جابر الذي عينه الخليفـــ الموحدي المأمون على تلمسان ونواحيها نظير إفشاله لمشروع إعـــادة إحيـــاء الدولة المرابطية بالاتفاق مع بقايا بني غانية الذي كـــان بطلـــه إبراهيـــم بـــن إسماعيل بن علام الصنهاجي وهو زعيم بقايا المرابطين بتلمسان.(71).

غير أن مدينة ندرومة رفضت الخضوع ليوسف بن جابر من بني عبـــ الواد وهو أخو يغمراسن بن زيان على خلاف بقية حواضر المغرب الأوســـ التي رضيت به، وربما كان ذلك الموقف أنفة منها من حاكم من غير الأســـرة المؤمينية الموحدية أو لكونه من غير قبيلة كومية فتوجه إليها يوسف بن جـــ ضاربا حولها حصارا شديدا يقاتلها من خارج أسوارها، وهي ممتنعـــة عليـــ ورماه أحد الجند من أعلى سورها يدعي يوسف الغفائري بسهم أصابـــه فقتـــ وذلك سنة 629 هـــ /1231م (72)، وبموته خلفه ابنه الحسن، ثم ترك الحكم لعمـــ عثمان بن يوسف ولكن سكان المدينة أخرجوه منها وطردوه من الحكم لغلظـــ وفضاضته وفساد سريرته وعراكه الدائم مع الناس وكان ذلك سنة 631 هـــ 1233م بعد سنة ونصف من بداية حكمه فخلفه أبو عزة زجدان بن زيـــان بـــ ثابت بن محمد ولكنه قتل خارج تلمسان سنة 633 هـــ / 1235 م في حرب بـــ بني عبد الواد وبين بني راشد، فتولى الحكم بعده بإجماع الناس أخوه يغمراســ (73) فاستقل بالمغرب الأوسط عن الموحدين تدريجيا ممحيا رسوم دولتهم ولـــ يبق منها غير الدعوة لها على المنابر.

ندرومة والصراع الزياني - المريني (74):

ظلت مدينة ندرومة ونواحيها بعد قيام الدولة الزيانيـــة إحـــدى أعمالـــ الغربية الهامة إلا في أوقات قليلة كانت تخضع للمرينيين عند مقدمهم لحـــر تلمسان وحصارها، ولكنها لا تلبث أن تعود لحظيرة الدولة بعـــد عـــودة بـــ مرين إلى بلادهم.

والواقع أنه كان يصيب المدينة ما كان يصيب تلمسان بل ربمـــا كـــانت إصابتها أشد لأن بني مرين وهم في طريقهم إلى تلمسان كانوا يلجـــؤون إلـــى غزو ندرومة وفتحها وكثيرا ما كان يتم ذلك عنوة فتخضع المدينـــة للقـــانون التقليدي من تقتيل الغالب للمغلوب وتنكيل الفاتح بسكان المدينة لمقاومتهم له.

وقد استقرت أحوال ندرومة في عهد يغمراسن والتزمت طاعتـــه طيلـــة حكمه بالرغم مما كان يصيبها على يد بني مرين فـــالنصوص التاريخيـــة لا تشير إلى أي اضطراب وقع فيها أو انحياش لها عن تملسان وربما كان ذلـــك لرضا بني عبد المؤمن على يغمراسن وخاصة في عـــهد الخليفـــة المـــأمون والرشيد ومهاداة هذا الأخير له والتحالف معه ضد بني مرين (75)، وذلـــك إذا ما استثنينا تلك الفترات التي يشتد فيها الصراع بين الطرفين ويتقدم فيها بنـــو مرين نحو تلمسان لحصارها ولا شك أن مدينة ندرومة كـــانت خـــلال هـــذه الغزوات تضطر إلى التسليم أو المقاومة التي تنتهي بالتسليم والتنكيل بها وذلـــك تماما يبدو في حركة السلطان المريني أبي يوسف إلى تلمسان على إثر معركـــة وادي ايسلي التي انتهت بهزيمة يغمراسن ومطاردته إلى عاصمتـــه ســـنة 670 هـــ /1271م وخلال ذلك كان المرينيون قد استولوا على حصن تـــاونت وهـــو محل قبيلة مطغرا حليفة يغمراسن، فشحنه المرينيون بالعدة والعتاد والأقـــوات وجعلوا عليه تابعا لهم من نفس القبيلة هو هارون شيخها وظل الحال على ذلـــك حتى استرده سنة 675 هـــ/ 1276م (76).

ولا شك أن مصير مدينة ندرومة كان كمصير تاونت خضعت للمرينيـــين سلما أو حربا فقد تعرضت في عهد عثمان بن يغمراسن إلى غـــزوات كثـــيرة على يدهم تحقيقا لمشروعهم في إعادة توحيد المغرب تحت رايتهم مثلما كـــان عليه أيام الموحدين (77) ولتحقيق ذلك كان لا بـــد مـــن اســـتئصال الوجـــود الزياني والاستيلاء على تلمسان مفتاح المغـــرب الأوســـط وبوابـــة إفريقيـــة، وادراك بنو عبد الواد ذلك وتيقنوا من مطامع بني مرين فذادوا عن حوضـــهم بسلاحهم ووقفوا موقفا حادا منهم تأمينا لوجودهم وحفاظا على استقلالهم، وكان يغمراسن قد أوصى ابنه عثمان بعدم التعرض لبني مرين والتوجه شرقا علـــى حساب بني حفص والإمارات والقبائل المجاورة (78)، شرق تلمسان وجنوبـــها والتزام أسوار عاصمته إذا قدم عليه بنو مرين بقوتهم التي تفوقه عددا وعدة.

ففي سنة 689 هـ / 1290 م خرج أبو يعقوب لحصار تلمسان، فنزل بذراع الصابون من ظاهرها ولكنه لم يستطع اقتحامها عنها وعاد إلى فاس (79) ويبدو أن ندرومة تعرضت خلال هذه الحملة إلى الهجوم عليها، فقد كان المرينيون يرسلون فرقهم تاونت (الغزوات وهنين وندرومة، وفي سنة 695 هـ / 1295م تجدد الصراع بين الفريقين خرج فيه أبو يعقوب المريني للمرة الثالثة لغزو تلمسان، فنزل بمدينة ندرومة بعد أن خرب مدينة وجدة وكانت تابعة للزيانيين، ويبدو أن ندرومة استعصت عليه بالرغم من حصارها والتضييق عليها فتركها وعاد إلى بلاده (80). مما يدل على أن المدينة كانت على درجة كبيرة من التحصين والدفاع. وكانت الغزوة الثالثة للمرينيين على تلمسان سنة 696 هـ / 1296م فنزلوا بذراع الصابون من ساحتها لحصارها ولكنهم لم يتمكنوا منها (81).

وفي السنة الموالية 697 هـ / 1297 م خرجوا في حملتهم الرابعة فنزلوا بأفران الجيار إلى الشمال من المدينة (82) وتركوا حامية كبيرة بمدينة وجدة تباشر قتال المدن الحدودية بين الدولتين مع الساعات والأحايين مثلما يذكر ابن أبي زرع (83) متبعين سياسة الأرض المحروقة من التهديم والتخريب وإفساد السابلة (الطرق) وحرق الزروع والأغراس. وكانت مدينة ندرومة وضواحيها أكثر هذه المدن معاناة وأشدها تعرضا للضغط والتخريب باعتبارها أهم تلك المدن، وبسبب ذلك اضطربت أحوال الناس واشتد عليهم الضيق والحيف فاستصرخت ندرومة عثمان بن يغمراسن فلم تتلق منه جوابا لانشغاله في حملات تأديبية في بلاد بني توجين لمساعدتهم أعداءه (84) فلم تستطع ندرومة الصبر من شدة ما أصابها من الضغط والأذى، فاضطرت إلى التسليم والانحياز إلى أبي يعقوب المريني مرغمة مؤدية له فروض الطاعة والولاء طالبة منه الأمن والأمن لأهلها وسكانها (85) وذلك بعد أن انصاع قائد عثمان بن يغمراسن عليها وعلى تاونت للمرينيين وهو زكريا بن يخلفتن الذي خلع الطاعة للزيانيين.

ويبدو أن مكانة ندرومة وشهرتها كانت كبيرة ليس بالنسبة لتلمسان فقط ولكن لكل مدنها وبواديها وهو ما يعبر عنه يحي بن خلدون بسبب ذلك في قوله: " ... فاضطربت أرجاء حضرته نارا لذلك..." (86).

لقد شجع انحياز ندرومة لبني مرين السلطان أبو يعقـــوب علـــى غـــزو تلمسان للمرة الخامسة، فالتحق بحاميته في وجدة واتجه بجيوشه إلى تلمســـان ونزل بضاحيتها الغربية بمكان يعرف باسم مجشر بن الصقيل ضاربا طوقا مـن الحصار حول المدينة وهو الحصار المعروف في التـــاريخ باســم الحصـــار الطويل الذي دام ما يزيد عن سبع سنوات، ولم ينته إلا بمقتل أبي يعقوب نفســه على يد أحد خدمه في قصره بمدينة المنصورة التـــي أسســـها فـــي موضـــع معسكره في انتظار افتتاح تلمسان (87).

وظلت ندرومة طيلة سبع سنوات وهي مدة حصار تلمسان، مثلها مثـــل بقية المغرب الأوسط بأكمله، تحت السيطرة المرينية وإحدى مدنـــهم، ولكنـــها تعود مرة أخرى لحظيرة الدولة الزيانية بعد انسحاب المرينين مـــن المغـــرب الأوسط على إثر مقتل سلطانهم.

واستمرت ندرومة على ولائها للزيانيين منذ ذلك الوقـــت حتـــى تجـــدد الصراع بين بني مرين وبني عبد الواد سنة 714 هـــ 1314م على عهد السلطان المريني أبو سعيد وذلك بسبب نفض بني عبد الواد لبنود معاهدة الصلح بينـــهما فضلا عن استقبال أمراء بني عبد الواد للثوار الخارجين عن الحكم من البـــلاط المريني (88).

وقد أقبل أبو سعيد على تلمسان يجر جيشا كبيرا مرورا بوجدة والمـــدن الحدودية حتى نزل بأسوار المدينة محاصرا لها، وخلال الحصار كانت فرقـــة عسكرية تجوب ضواحي تلمسان ومناطقها ومدنها مثخنة فيها مخربة عمرانـــها ومتلفة زروعها (89)، ولا شك أن ندرومة كانت مـــن بيـــن تلـــك المـــدن والمناطق التي تعرضت للضغط المريني، غير أن النصوص التاريخية تســـكت عن وصف ما حدث لها هذه المرة.وتعكر الجو السياسي من جديـــد ســـنة 735 هـ/ 1334م بين بني مرين وبني عبد الواد وذلك بسبب سياسة التوسع الزيـــاني التي انتهجها أبو تاشفين عبد الرحمن على حساب بني حفـــص أصـــهار أبـــو الحسن المريني الذي تدخل شفيعا لهم عند أبي تاشفين، فردت شفاعته، وكـــان ذلك بداية لعودة الصراع بينهما فاتفق بنو مرين وبنو حفص على غزو تلمسان (90) فخرج أبو الحسن لحصارها مرورا بوجدة فنزل بمدينة ندرومـــة حيـــث مكث بها يوما ودخلها عنوة فقتل حاميتها ونكل بســـكانها لمقاومتـــهم لـــه وعنـــد مغادرته لها ترك عليها حامية (91)، وواصل طريقه إلى تلمسان فنزل بغربـــها

في مدينة المنصورة، مدينة جدة أبي يعقوب ونصـــب عليـــها آلات الحصـــار وباشرها بالقتال حتى تمكن من افتتاحها عنوة بعد سنتين وفي دخولهم لها قتـــل سلطانها أبو تاشفين عبد الرحمن وأولاده وخواصه (92) وبذلك دخلت تلمســـان وقبلها ندرومة للمرة الأولى تحت حكم بني مرين.

وقد واصل أبو الحسن طريقه بعد مدة لافتتاح إفريقية والاستيلاء علـــى بلاد بني حفص وذلك سنة 748 هـــ / 1348 م مرورا ببجاية، وفيها اقطع أبـــو الحسن مدينة ونواحها إلى صاحب بجاية الحفصي أبا عبد الله بن أبي زكريـــاء مقابل تخليه عنها لأحد عماله وأنزله بها وصرف إليها جبايتـــها (93)، وظلـــت ندرومة على ذلك من الولاء للمرينيين فاضين عليها طاعتهم على غرار بقيـــة مناطق المغرب الأوسط، وذلك حتى هزيمة أبي الحسن أمام القيروان على يـــد عرب النواحي وما تبع ذلك من إشاعة مقتله في المعركة أو غريقا في البحـــر أمام جزائر بني مزغنة ووثوب ابنه أبي عنان على الحكم ورفضه التنازل عنـــه بعد وصول الأخبار بأن أباه على قيد الحياة (94).

وقد أدت تلك الهزيمة إلى محاولة الزيانيين إعادة إحياء دولتهم فتحـــالف الأخوان أبو ثابت الزعيم وأبو سعيد مع أبي عنان للتصـــدي لأبيـــه وحربـــه فتمكنوا بذلك من إحياء الدولة واسترجاع تلمسان عاصمتها وكان ذلك سنة 749 هـــ / 1348 م (95) وعندما كان الأخوان أبو سعيد وأبو ثابت في مهمتهما مـــن إحياء الدولة ومصارعة بني مرين والمناطق الداخلة في طاعتـــهم بـــالمغرب الأوسط اغتنمت منطقة كومية كهنين وندرومة وغيرهما مـــن مـــدن وقـــرى الساحل الغربية لتلمسان جو الصراع وحالة الأوضاع غير المســـتقرة لتعلـــن استقلالها عن المرينيين والزيانيين معا ودعا شيخ كومية بالمنطقة، وهـــو مـــن بني عابد قوم عبد المؤمن بن علي لنفسه، فازدادت الأوضاع اضطرابا لذلـــك واشتدت الفتنة فخرج إليهم أبو ثابت غازيا ودخـــل هنيـــن وندرومـــة عنـــوة فاستباحهما قتلا وسبيا وفي مقدمتهم زعيم الثورة الذي أسره أبو ثابت وســـجنه في تلمسان ثم تخلص منه بعد أشهر (96)، وبذلك عادت ندرومة مرة أخـــرى إلى حضيرة الدولة الزيانية.

وتجدر الإشارة إلى أن أبا الحسن عندما احتل تلمسان نقل معظم أمـــراء بني عبد الواد للعيش في مدينة قاس لإبعادهم عن موطنهم وتيسير مراقبتـــهم غير أن هزيمة القيروان وما تبع ذلك من اضطراب أحوال المغربيين والأوســـط

والأقصى وإنبراء الأخوين أبي سعيد وأبي ثابت لإحياء دولتهم عجلت بعودة هؤلاء الأمراء إلى بلادهم وكانت في مقدمتهم عائلة أبي يعقوب والد أبي حمو موسى الثاني مع أبني عمه أبي زيان وأبي سعيد وكان ذلك 750 هـ/ 1349م وقد فضلت عائلة أبي حمو الاستقرار في ندرومة بعيدا عن أي نشاط سياسي، وفيها تزوج أبو حمو من سيدة لا تذكر المصادر التاريخية شيئا عنها، وولد له فيها أبكر أولاده أبا تاشفين سنة 752هـ /1351م(97).

ويرجع الدارسون الأسباب التي أملت على أبي يعقوب وابنه أبي حمو الاعتزال في ندرومة والانقطاع بها حيا في العبادة والزهد على ما تذهب إليه المصادر ولكن أبا يعقوب كان أكبر إخوانه وهو مقام يفرض التقليد أن يتبوأ كرسي الحكم ولكن الظروف السياسية والاضطراب القائمة في البلاد جعلته ينظر للأمر نظرة أخرى فانعزل في ندرومة، وكان انعزاله فيها تعبيرا منه لأخوته عن خلو ذهنه من أي طموح سياسي أو رغبة في الحكم خصوصا والصراع على أشده بين دويلات المغرب وقبائله وبين أمراء عائلة الدولة الواحدة، وهو ما دفع الأخوان أبا سعيد وأبا ثابت إلى النهوض لإعادة إحياء الدولة الزيانية دون تخوف من أخيهما الأكبر أبي يعقوب والد أبي حمو المنعزل في ندرومة (98).

وفي الوقت الذي كان فيه أبو حمو وعائلته مستقرين في ندرومة تحت الحكم المريني اتجهت أنظار سكان المدينة إلى بناء مئذنة جامعهم الكبير ولاشك أن أبا محمد ووالده ساهما في ذلك فالنص التأسيسي للمئذنة يشير إلى أنها بنيت على يد أهل المدينة (ندرومة) وبأموالهم وأنفسهم لوجه الله (99)، ولا يعقل أن تكون شخصية هامة كشخصية أمراء الأسرة الزيانية ألا تساهم في ذلك المجهود وأعمال البر بمالها وبرأيها وبركتها.

ولاشك أن ندرومة ظلت تحت حكم بني مرين وتابعة لدولتهم في عهد أبي عنان فارس، ذلك أنه ما إن أعاد أبو حمو موسى الثاني أحياء الدولة الزيانية للمرة الثانية عام 759 هـ/ 1360م حتى بادرت ندرومة مع من بادر من المدن أخرى كوجدة وهنين إلى مبايعة أبي حمو وأوقدت وفودها إليها (100) وهو بتلمسان، وذلك أمر يبدو طبيعيا فالسلطان الزياني الجديد أبو حمو لم يكن غريبا لدى أهل ندرومة فقد أقام بينهم مدة من الزمن مثلما ذكرنا، وهو فوق ذلك صهرهم لزواجه من سيدة منهم على ما يرجح ومما لاشك أن هذه العلاقة

سيكون لها أثر قوي في التزام ندرومة صف أبي حمو في صراعه الطويل مع بني مرين من جهة ومع أمراء البيت الزياني كمحمد بن عثمان بن أبي تاشفين الملقب بالقبي وبعده ولده أبو تاشفين الذي ولد في ندرومة من جهة أخرى وكان بنو مرين قد لجؤوا إلى تأليب البيت الزياني على أبي حمو وإثارة التنافس بين أمرائه وخاصة على يد السلطان أبي سالم والسلطانين عبد العزيز وأبي العباس، وقام بعض هؤلاء السلاطين فضلا عن ذلك بغزو تلمسان واحتلالها لمدة قصيرة وكان أبو حمو يضطر إلى ترك عاصمته عند مقدمهم ويقوم بالإغارة على الجهات الشرقية من بلادهم قاطعا عليهم خطوط المواصلات والإمدادات بينهم وهم في تلمسان وبين فاس عاصمتهم ملحقا أضرارا كبيرة بتلك المناطق وهو ما يجعلهم يعودون إلى بلادهم تاركين تلمسان فيسترجعها أبو حمو.

وكان الصراع بين أبي حمو وبين بني مرين وبينه وبين أمراء بيته منحصرا في الجهات الشرقية والجنوبية الشرقية من تلمسان وقد دام ذلك الصراع حتى مقتله سنة 791 هـ/ 1388 م على يد جمد أبنه أبي تاشفين (101).

ولم تذكر النصوص التاريخية شيئا عن حالة المناطق الغربية من تلمسان ومدنها وعلاقتها بذلك الصراع في الجهة الشرقية، ولكنه يرجح أنها انكمشت على نفسها تحت زعامات محلية كبني عبيد مؤدية فروض الطاعة الصورية لأبي حمو أو أي متغلب على المنطقة نازعة إلى الإمساك عن تقديم الأموال للمتصارعين إلا إذا وجدت نفسها مرغمة على ذلك لتعود إلى حالتها الأولى في أول فرصة.

ولا نكاد نحصل على أي معلومة عن ندرومة ومناطقها في الفترة الممتدة بين وفاة أبي حمو الثاني وسقوط الدولة الزيانية نهائيا سنة 962 هـ /1554م على يد الأتراك العثمانيين.

غير أن باسي يرجح أن المنطقة استغلت ضعف الدولة الزيانية وقررت قبائلها المكونة من ذوي عبيد الله والمعقل العربية أن تفرض على السلطان الزياني إلحاق المنطقة الممتدة بين تلمسان ووجدة، ووضعها تحت إشرافهم وهي وجدة وندرومة وبني يزناسن ومديونة ونبي سنوس، كما فرضت عليه التخلي عن المطالبة بالضرائب التي اعتادت الدولة المطالبة بها وجعلها بين

أنهم (102).

انهيار الدولة الزيانية وقيام الحكم التركي في الجزائر:

إن الظروف التي آلت إليها الدولة الزيانية منذ أواخر القرن 9 هـ / 15م من الخور والضعف لأسباب كثيرة منها الصراع السياسي والعسكري على الحكم بين الأمراء الزيانيين وبين الدولة الزيانية وبني مرين وبينها وبين القبائل المناوئة فضلا عن صراعها مع الحفصيين، كل ذلك أدى إلى ضعفها وتحطاطها كما أدى إلى فراغ سياسي في المنطقة يصفه أحمد توفيق المدني كالتالي: "... لقد أخذ صرح بني عبد الواد يتساقط منذ ركن ملوك هذه الدولة... إلى التواكل والتخاذل، وإخلادهم إلى الدعة.. وتثاقلهم عن القيام بالمصالح العامة، وانهماكهم في التهالك على الرئاسة، وقصر اشتغالهم على أنفسهم شخصيا، فانمحت هيبتهم عن نفس الرعية.. واستبد الولاة ورؤساء القبائل والشيوخ وعمال الجهات وولاة النواحي وقادة الجيش بما أتصل بأيديهم من أسباب الولاية والحكم..." (103).

ومما أدى بكل تأكيد إلى انزواء كل منطقة على نفسها والاستقلال بذاتها، نرجح أن منطقة تاجرا وندرومة كانتا مستقلتين عن الدولة باستثناء مدينة تلمسان باعتبارها مرسى تلمسان وقلبها التجاري النابض ومتنفسهم الاقتصادي وإليها كانت ترسو سفن جينوة والبندقية تحط أحمال التجارة والسلع لتنقل منها في أمن وأمان إلى حواضر المغرب وإلى جنوب الصحراء(104).

ونظرا لتلك الأهمية قام السلطان الزياني بتحصينها وتقوية دفاعاتها عندما احتل الأسبان المرسى الكبير في وهران نفسها في 911 هـ / 1505م وذلك خوفا من احتلال الأسبان لها بما يعني من ذلك نهاية الدولة وزوالها ولأن ما تبقى لها من الحياة مرتبط بما يدره مرسى هذه المدينة من تجارة وأموال (105)، ذلك أن جل المناطق الأخرى لم تعد تدفع الضرائب للخزينة وبالفعل فإن ما كان الزيانيون يخشونه حدث، فقد بادر الأسبان إلى احتلال المدينة سنة 938هـ 1531م وذلك لإحكام الكماشة على تلمسان الزيانية استعدادا لإخضاعها إلى سلطتهم أو نفوذهم وإرغامهم على تنفيذ ما يرونه لها وإحكامها. ولا شك أن احتلال المرسى لم يكن سهلا وأن السكان دافعوا على مدينتهم بما كان تحت أيديهم من أسلحة قليلة استعملوها في غير نظام وتمكنوا

من قتل ما يزيد عن أربعين جنديا إسبانيا وذلك بتظافر ســـكان المنطقـــة فـــي الدفاع عن أراضيهم(106).

وربما كانت ندرومة قد ساهمت في المقاومة، فالمنطقـــة كـــانت تحـــت مراقبة قبيلة كومية أو مطغرة وكانت ندرومة شبه مســـتقلة، إذ يذكـــر حســـن الوزان أن المدينة أي ندرومة: "... كان السكان تقريبا أحرارا لكونـــهم تحـــت حماية جيرانهم الجبليين (قبيلة مطغرة) فالملك (سلطان تلمسان) لا يســـتطيع أن يحصل على أي خراج من هذه المدينة، لأن العمال الذين يوفدهم إليها إنمـــا يقبلهم السكان إذا رضوا عنه وإلا رفضوهم وردوهم على أعقابهم، ومع ذلـــك فإنهم يرسلون أحيانا إلى الملك هدية بسيطة ليتمكنوا من إدخال ســـلعهم إلـــى تلمسان (107). وبذلك شحت الأموال على خزينة الدولة فلم تعد قـــادرة علـــى الدفاع على نفسها ولا استرداد ما أخذه منها الأسبان مـــن المراكـــز والمـــدن العديدة.

لقد أنجبت ندرومة في أواخر الفترة الزيانية بعض العلماء، إذ يشير ابـــن مريم إلى اثنين منهم أحدهما هو أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بـــن عبـــد الله الأستاذ الندرومي التلمساني وكان قد تتلمذ على ابن مرزوق الحفيد ثـــم رحـــل بعد ذلك إلى القاهرة فدرس بها وقام بشرح مختصر شيخه ابن مرزوق، وكـــان حيا بعد 830هـــ / 1427م كما ذكر عالما آخر هو أحمد بن ملوكـــة الندرومـــي وهو أستاذ على بن يحي السكسيني الجادري وكان عالما وخطيبا وفقيها محققـــا برز في علوم كثيرة وتوفي سنة 772 هـــ 1565م (108).

الهوامش:

حسن الوزان، وصف إفريقية، جـ 2، ترجمة عن الفرنسية محمـــد حجـــي ومحمـــد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان 1983، ص 13 – 14 .

تاريخ مارمول، إفريقا، ترجمه عن الفرنسية محمـــد حجـــي وآخـــرون، درا نشـــر المعرفة، الرباط 1989، ص 295.

3) Canal ; « Mingraphie de L''Arrondissement de Tlemcen « Bulletin de Geogrephie et d''Archéologie de la Provence d''Oran ; T.VIII.1888 ;P.207.

4) H.Basset ; Nédrouma et les Traras, Publ. De L'Ecole des Lettre d'alger Paris 1901, P6 – 7.

5) Ibid, P.7.

عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر..، مجـــ 6، دار الكتاب اللبناني، بيروت ــ لبنـــان 1982، ص. 257.

أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشره دوسلان بنصه العربي والفرنسس، L'brairie ; A. maisonneuve; Paris 1965 ; P III

8) A ;Dhina,LE Royaume Abdelouadid d'Abou Hamou moussa 1 er et d'ABOU Tachifine 1er ; O. P. U. Alger ; 8 ;1985 ; P ;28.

9) Canal,op, T. VII. 1887 ; P. 79.

10) Canal, Ibid ; P. 83.

عبد الرحمن بن خلدون ، مصدر سابق، مجـــ 6، ص، 247 – 254.

نفس المصدر، مجـــ 6، ص، 257.

ابن عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علـــي، دار المعارف بمصر، القاهرة 1971، ص، 86.

انظر تفاصيل ذلك في /Canal , Op ; Cit, T.VII,1887 ; P;80 – 83.

15) H ,Basset, Op,Cit,P,65.

ظهر تزارا اسم ظهر لأول مرة في القرن 10هـــ / 61 م، أنظر في ذلـــك/ H, Basset, Op – Cit

أنظر أيضا عن اشتقاق الاسم في / Introduction ; P III Canal ; Op – Cit ; T.VII, P82.

18) Ibid ,P ? 84.

أبو عبيد البكري، مصدر سابق، ص 80.

الشريف الإدريسي، المغرب العربي من كتاب/ نزهة المشتاق في اخـــتراق الآفـــاق، تحقيق محمد حاج صادوق، ديوان المطبوعات الجامعية (د. م. ج) الجزائـــر 1983، ص، 190.

حسن الوزان، مصدر سابق، ص، 14.

تاريخ مارمول، مصدر سابق، 295.

حسن الزان، المصدر قبله، ص، 14.

تاريخ مارمول، المصدر قبله، ص. 295.

ابن عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص. 82.

أبو عبيد البكري، مصدر سابق، ص. 80.

27) د. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1988.ص. 135.
28) أبو عبيد البكري، مصدر سابق ، ص، 80.
29) مصطفى زبيس، بين الآثار الإسلامية في تونس، دار الثقافة، تونس 1963.ص.8.
30) عن ذلك أنظر /Lezin, Le Ribate de Sous souivi de note sur le Ribatede A Monastir, Impr; la Rapide Tunis; 1956.
31) أبو عبيد البكري، مصدر سابق، 08.
32) نفس المصدر والصفحة.
33) الشريف الادريسي، مصدر سابق، ص، 190.
Canal,Op,Cit ;T.VII, 1887.P,176 – 178.
H,Basset,Op ;P ; 20 – 27.
36) عن هذا الصراع وثورات البربر فيه: أسبابه ونتائجه، أنظر/ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ 4، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان 1980.د. محمود إسماعيل الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت ـ لبنان 1976.
37) بتصرف عن / د. موسى لقبال، المغرب لفسلامي من معسكر القرن حتى أنتهاء ثورات الخوارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (ش. و. ن. ت) الجزائر 1981 ص 103 – 104.
38) عن تلك القبائل والأحداث أنظر / ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة. بيروت ـ لبنان 1980، 65 – 68.
39) السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المعرب بالأقصى، جـ 1، تحقيق وتعليق الأستاذ جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب 1954، ص .105.
40) د. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير جـ 2. العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان 1981.
41) عبد الرحمن بن خلدون مصدر سابق، مج .6.ص. 223. ومجـ 7. ص 24.
42) د. السيد عبد العزيز سالم، المرجع قبله، ص 247 – 248.
43) السلاوي، الاستقصا، جـ1. ص. 116.
44) عن الأدارسة ومؤسس الإمارة الإدريسية أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض الفرطاس... ابسلا 1848 .ص 11 – 25.
45) أبو عبيد البكري، مصدر سابق، ص 118. ابن أبي زرع، مصدر سابق ، ص 15 – 16.
46) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 4.ص .24 ابن أبي زرع مصدر سابق ص 7 – 8 . د. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، جـ 2 .ص 435.
47) ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص 8.
48) نفسه، ص 38.
49) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، جـ 4 . ص 28.
50) نفس المصدر، مجـ 4. ص 34.
51) د. سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، جـ 2.ص 505.513.

ابن الأثير، مصدر سابق، جـ 6 . ص 132 – 133.

عن هذا الصراع أنظر: عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 6 ، ص 273 – 275.

د. رشيد بورويبة، " تاريخ الجزائر السياسي في عهد الفاطميين " تعريب د. محمد بقراد في الجزائر في التاريخ، جـ 3، العصر الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (م. و . ك)، 1984، ص 151. 155 – 157.

عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7، ص 353 – 360. أنظر أيضا عن تلك الحملات: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها حضارتها، د. و. ج. الجزائر 1977، ص 15. 18 .56.

عن ظهور المرابطين وقيام دولتهم أنظر ما يلي: عبد الرحمن بن خلدون مصدر سابق، مجـ 6، ص 373 – 390. A .BENACHENHOU, LA DYNASTIE ALMORAVIDE ET SON ART ?ALGER ;1974

57) H. TERRASSE. L'ART HISPANO –MAURESQUE ORIGINE ORGINE AU XIII 1 é CLE ,PARIS ; LES ED S.G. V AN.OEST.PARIS.1932.P.217 –223.

د.السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، جـ 2 .ص 705 – 704.

عبد الرحمن بن خلدون المصدر قبله، مجـ 6،ص 380 – 381.

عن تلك اللوحة والأسماء الواردة فيها أنظر / H. BASSET,OP. CIT.P.22 – 23.

عن الجامع أنظر/ R. BOUROUIBA,L'ARTELGIEUX MUSULMANER ALGERIE,ALGER S.N.E.D. 1973.P72 – 74

62) R. BOUROUIBA,L'ARCHITECTURE MILITAIRE DE L'ALGERIE MEDIEVALE O.P.U.ALGER, 1983,P 93.60.

عن قيام الدولة الموحدية وصاخب دعوتها ابن تومرت أنظر/ عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق مجـ 6، ص، 464 – 472. ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان ، 1981 –نص 248. وما بعدها. د. عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت: حياته وآرائه وثورته الفكرية والاجتماعيّة وآثاره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1983.

أنظر عن هذه الشخصية / د. عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف بمصر، القاهرة 1971.

65) H. TERRASSE ,OP .P.262 – 263.

عبد الرحمن بن خلدون مصدر سابق، مجـ 6 ، ص 260.

نفسه، مجـ 6، ص 261. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، جـ 2، دار الثقافة بيروت ــ لبنان 1980.ص 8.

عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق ، مجـ 6، ص 477.

د. عبد الله علي علام، مرجع سابق،ص 131.

نفسه، ص 83.

عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7ن ص 160. د. السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 836.

72) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7، ص 135،152 – 153. ش أ. جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، جـ 2، العصر الإسلامي، الدار تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1978، ص 200 – 201.

73) يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق د. عبد الحميد حاجيات، منشورات المكتبة الوطنية، الجزائر 1980، ص 199.

74) نفسه، ص 200.

75) نفس المصدر والصفحة.

76) عن قيام الدولة الزيانية أنظر / عبد الرحمن بن خلدون مصدر سابق، مجـ 7، ص 162 – 163.

77) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7، ص. 164.

78) يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص، 209.

79) نفسه.

80) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ش. و. ن. ت. الجزائر 1974، ص، 14.

81) يحي بن خلدون، مصدر سابق،ص ، 209.

82) السلاوي، مصدر سابق، جـ 3، ص، 76.

83) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7ن ص. 455.

84) يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص، 209.

85) ابن أبي زرع مصدر سابق، ص. 236.

86) يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص. 209.

87) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7، ص. 456.

88) يحي بن خلدون، مصدر قبله، ص، 209.

89) عن الحصار الطويل وتفاصيله، ومقتل أبي يعقوب ثم عودة المرينيين إلى المغرب أنظر/ عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7، ص. 457 – 459. يحي بن خلدون ، مصدر سابق، ص، 210. ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص، 267 – 268.

90) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص. 272. السلاوي، مصدر سابق، جـ 3 .ص 89.

91) السلاوي، نفس المصدر، ص، 105.

92) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7، ص 226. السلاوي، نفسه، ص 119.

93) عبد الرحمن بن خلدون، نفس المصدر، مجـ 7، ص. 533.

94) أنظر تفاصيل ذلك في / عطاء الله دهينة، الغزو المريني لتلمسان في الجزائر في التاريخ، ص. 389 – 390.

95) عن تلك الأحداث أنظر/ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو حمو موسى الزياني ص 71.

96) ـ د. محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987،ص .118.

97) السلاوي، مصدر سابق، جـ 3 . 164.

(99) يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص. 236 – 237. السلاوي، نفس المصـدر، ج 3،ص 171 – 172.

(100) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ 7، ص. 244.

(101) عبد الحميد حاجيات، " السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه " مجلـة تـاريخ وحضارة المغرب، العدد 8، 1970.ص 8.

(102) عن تفاصيل ذلك أنظر / عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزيـاني... ص 73 – 75 .

102) H.BASSET,OP ; CIT ; P 20 – 21.

(103) عبد الحميد حاجيات، " إحياء الدولة الزيانية " في الجزائر في التـاريخ، جـ 3 .ص 402.

(104) تحدث عبد الرحمان بن خلدون عن تلك الخلافات وذلك الصراع بالتفصيل أنظر ذلـك في/ العبر، مج 7. ص 254.

(105) وأنظر أيضا تفاصيل ذلك في/ عبد الحميد حاجيات، أبو موسى الزيـاني... ص 93 – 154.

106) H.BASSET ;OP,CIT.P15.

(107) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بيـن الجزائـر وإسـبانيا، ش. و. ن. ت. الجزائر، د. ت. ص. 70.

108) ANNA MASCARELLO « QUELQUES ASPRCTS DES ACTIVITES ITALIENNES DANS LE MAGHREB MEDIEVAL . REV. D "HISTOIRE ET CIVILASATION DU MAGHREB ; n 5 ; JUILLET 1968.P73.

(109) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، م. و. ك. الجزائر 1984، ص 231.

(110) أحمد توفيق المدني، مرجع السابق، ص 238.

(111) حسن الوزان، مصدر سابق، ص 14.

(112) ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د م ج الجزائـر 1986، ص 44، 145 – 146.

ملحق الأشكال

شكل 1. مخطط قصر ورقلة.

عن: Madeleine; le Pays de Ouargla.

* موقع الزاوية.

..... حدود الأحياء.

مدارس تعليمية.

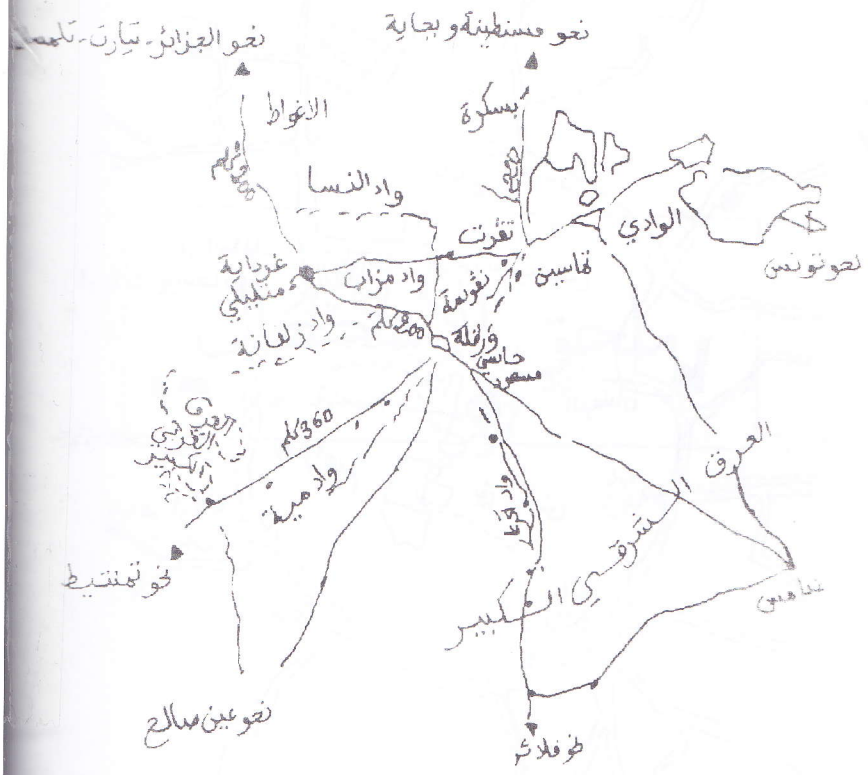

شكل 2. ورقلة ملتقى الطرق الصحراوية.
Cotheilleux (J.); ouargla cité Saharienne: عن

شكل: 3 مخطط مدرسة تبسبي جاول القديمة بنية بموقعها ورقلة.

1. السقيفة.
2. قهوة.
3. بيت الصلاة.
4. أقسام
5. أسلام
6. باب وسلم الطابق.
7. الصحن.

مقياس الرسم: 50/1

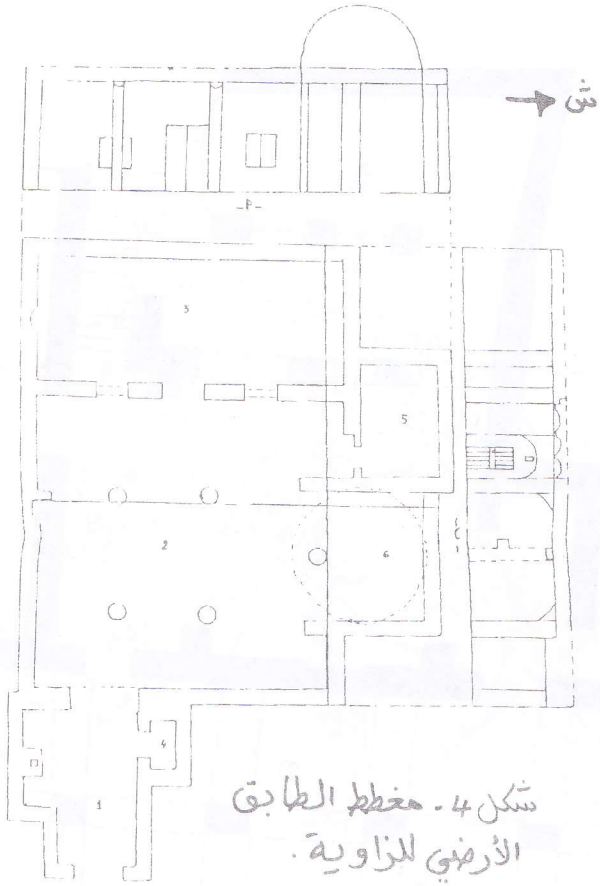

شكل 4 - مخطط الطابق الأرضي للزاوية.

P. مقطع عرضي.
ب. " طولي.
1. السقيفة.
2. الصحن.
3. بيت الصلاة.
4. مقصورة
5. مخزن.
6. إيوان.

مقياس الرسم: 0 1 2 3 4 5 متر

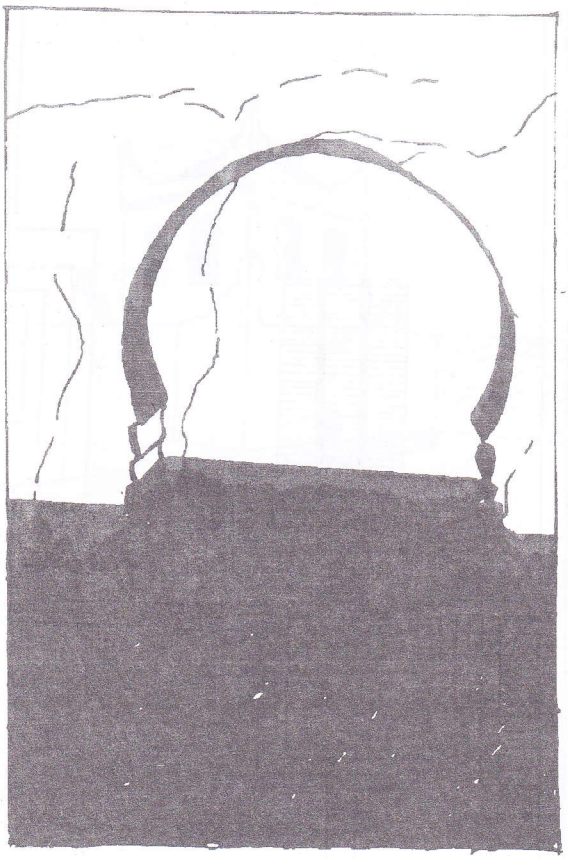

شكل 5 . محراب بيت الصلاة بزاوية سيدي عبد القادر بقصر ورقلة .

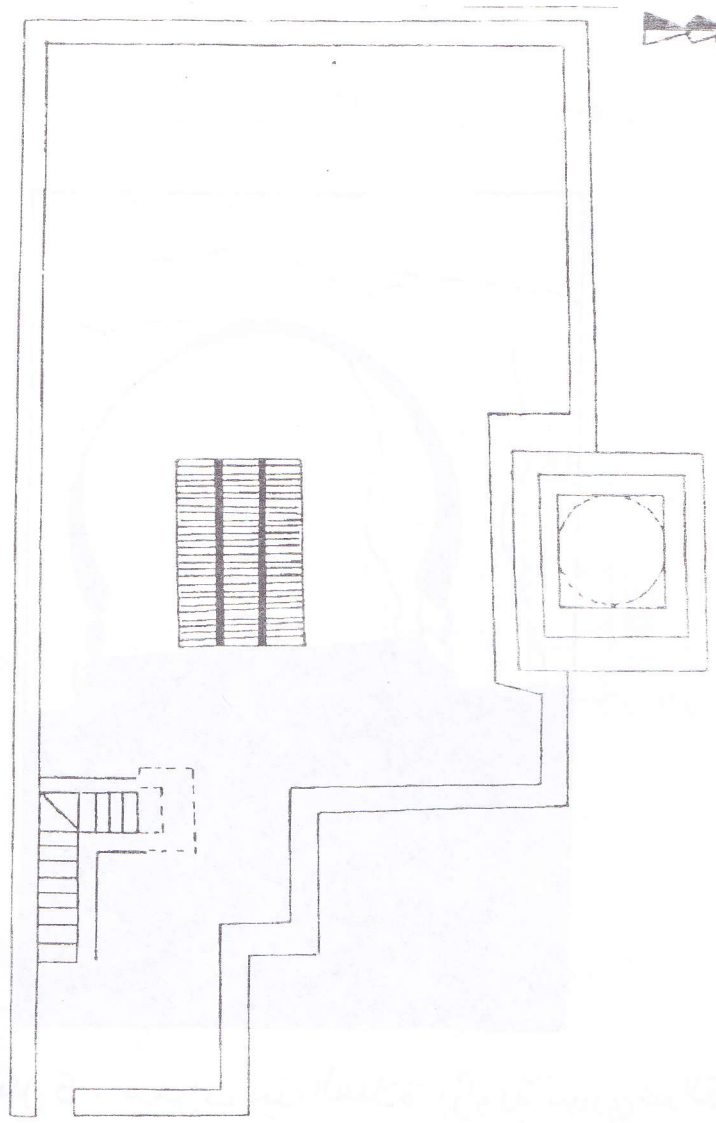

شكل 6. مخطط السطح للزاوية.

مقياس الرسم : $\frac{1}{100}$

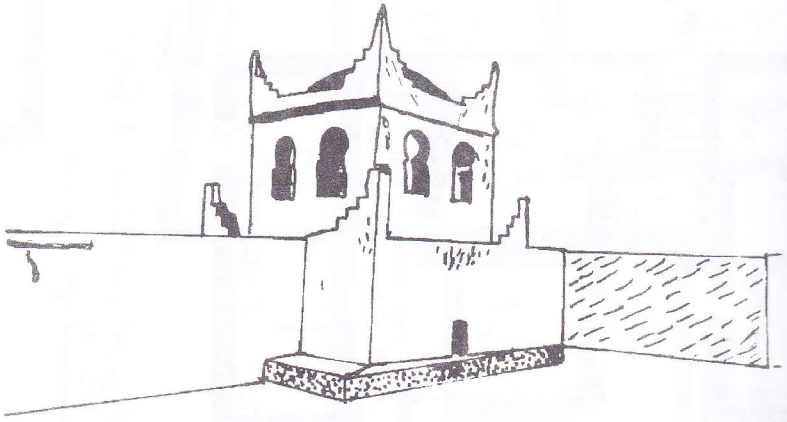

شكل 7. قبة السطح بزاوية سيدي عبد القادر بقصر ورقلة.

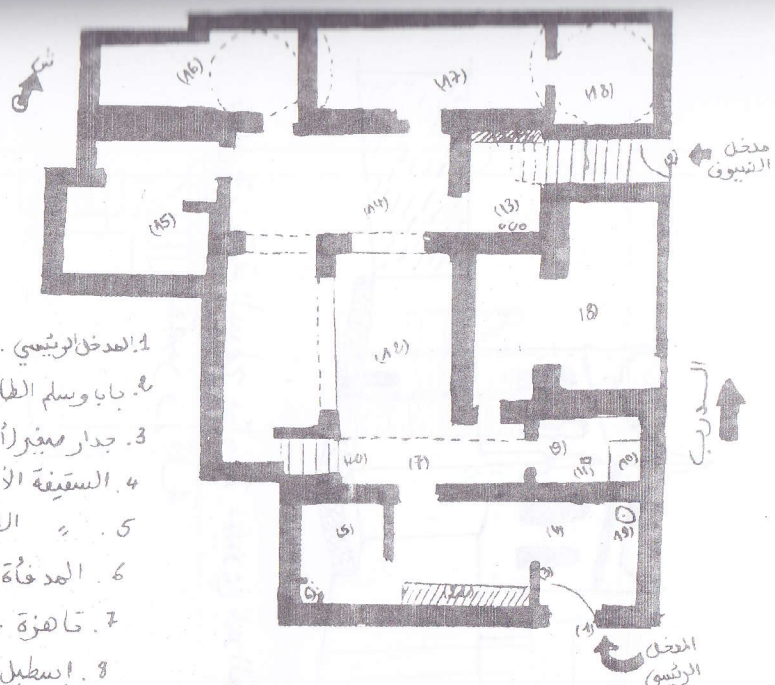

1. المدخل الرئيسي .
2. باب وسلم الطابق .
3. جدار صغير (أمود) .
4. السقيفة الأمامية .
5. " الخلفية .
6. المدفأة (الشمني) .
7. تاهزة .
8. إسطبل .
9. الموحاض .
10. قناة صرف المياه القذرة .
11. ثقب الموحاض
12. وسط الدار
13. غرفة المادة .
14. أسلاف .
15. المخزن
16. غرفة (الكمار)
17. غرفة صاحب البيت .
18. الحنية .
19. تازيرت الطاحونة اليدوية .
20. السلم
21. دكة (مقعد حجري) .
22. دكة .

شكل 8- مخطط الطابق الأرضي لمنزل بني ابراهيم.
مقياس الرسم: 0 1 50

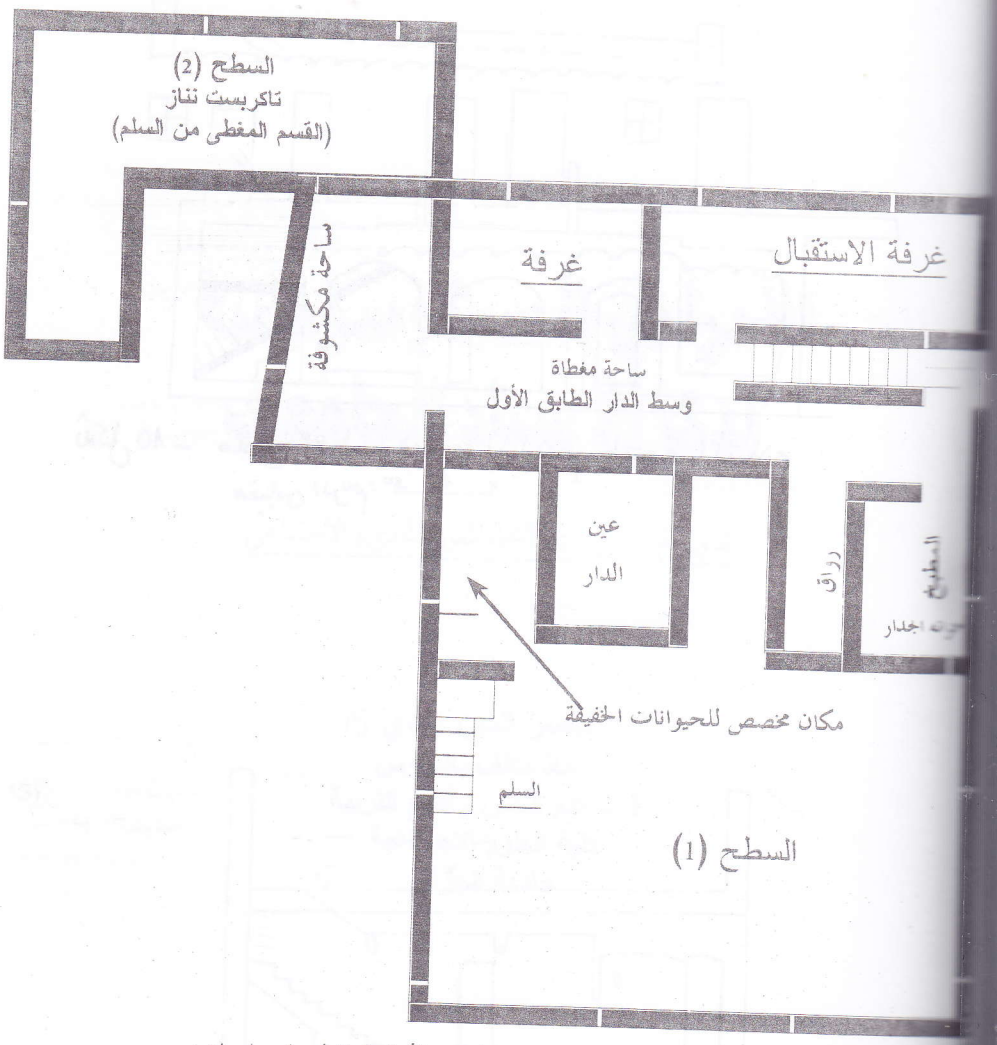

شكل 9 : مخطط السطح 1 و الطابق الأول لمنزل بني إبراهيم

مقياس الرسم : 0 1 50

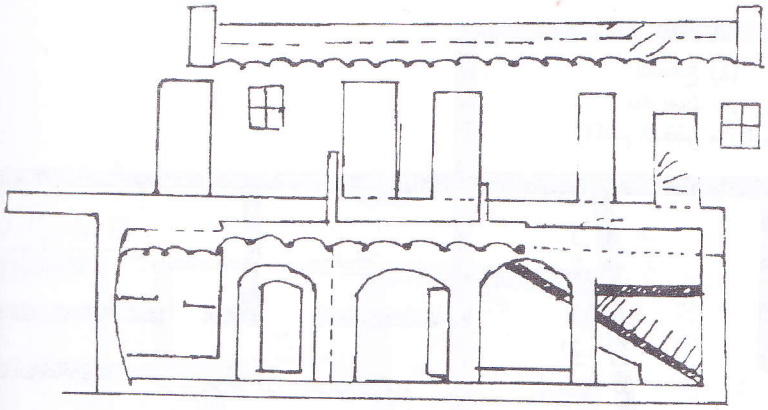

شكل 10 - مقطع PP لمنزل بني ابراهيم واجهة اسلام
مقياس الرسم: 50 0 1

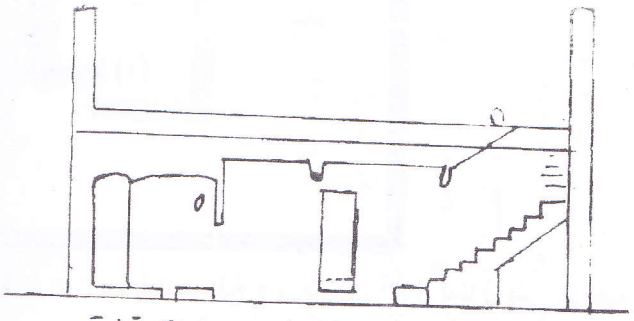

شكل 11 - مقطع PP لمنزل بني ابراهيم جهة تهزة
مقياس الرسم 50 0 1